

(تفسير الشّيخ البرّاك)

القارئ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَإِنَّ اللَّهَ لَكُمْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (١٠٣) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَآمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكُفُّرُونَ} (١٠٦) وَآمَّا الَّذِينَ ابْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحُقْقِ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ طَلْمَامًا لِلْعَالَمِينَ} (١٠٨) وَلَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [آل عمران: ١٠٩-١٠٢]

الشيخ: أحسنـت.

الحمد لله، في هذه الآيات يأمر الله عباده المؤمنين ويوصيهم بوصايا عظيمة، جماعها التقوى، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} اتقواه التقوى التامة، قال بعض السلف: تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكّر فلا يكفر، {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}، وهذه الآية تبيّنها الآية الأخرى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ٦]، فالواجب على العبد أن يتّقي الله ويراقبه ويخافه بفعل ما أمره وترك ما نهى عنه، بحسب قدرة العبد.

قال تعالى: {وَلَا تَمُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} يعني: استقيموا على الإسلام، اثبتوا عليه حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون، {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

أمر عبادة بالاعتصام بحبله، وهو دينه وكتابه، الاعتصام به التمسك به، {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} فأمر عباده بالاجتماع وحدّرهم من الفرقة، وبالاجتماع القوّة والعزة والتعاون على البر والتقوى، وفي الفرقة في الفرقة الفساد والفشل، {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]، إلى قوله تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا}، وهذه...، وعطف هذه الأحكام على ما قبلها من عطف الخاص على العام، {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا} في هذا تأكيد لما سبق من هذه الوصايا الإلهية.

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبَيَّنُ
وُجُوهُ وَتَسْوُدُ وُجُوهُ} وذلك في يوم القيمة، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ
(٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ} [عبس: ٤٠-٣٨].

{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} وهذا يدل على أن هذا نعم الدين، هم الذين تسود
وجوههم، {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ إِمَّا كُنْتُمْ تَكُفُّرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا
الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ} جاء عن ابن عباس أنه قال: "تبين وجه أهل السنة والجماعة،
وتسود وجوه أهل البدعة والكفر"، ففي تقوى الله..، وتقوى الله والاعتصام بحبه والاجتماع على ذلك هو
سبب السعادة، {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ}، وهي الجنة التي أعد لها الله
للمتقين، {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ}.